Müteneb bi
132784

MADDE YAYIMLANDIKTAN
SONRA GELEN DOKÜMAN

01 Aralık 2021

ملف ، أ

الشاهد الشعري في البلاغة العربية

نموذج : المتنبّي

D40

Türkiye Diyanet Vakfı
Kütüphanesi
İslam Araştırmaları Merkezi

د. مصطفى الجوزو *

يطمح هذا البحث الى تناول طريقة البلاغيين العرب في اختيار الشاهد الشعري، ولعله الشاهد الاكثر حضوراً في مصنفاتهم، والى تعرّف موقفهم من هذا الشاهد وصاحبه ومعنى هذا الموقف.

وقد اخترنا لهذه الغاية شاعراً نموذجياً هو أبو الطيب المتنبي (ت 354 هـ)، وثلاثة من أقطاب علوم البلاغة، أحدهم يميل الى الازدراء على المتنبي هو عبد الله بن محمد، المعروف بابن سنان الخفاجي الحلبي (422 - 466 هـ)، وآخر معتدل لا يخلو من اعجاب بأبي الطيب هو عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) وثالث معجب به غير متورّع عن لومه في بعض الأحيان هو حازم القرطاجني (ت 684 هـ). واذا كنا قد تجاوزنا السياق التاريخي في اختيار هؤلاء ففي سبيل الموقف النقدي البلاغي الذي يتيح لنا رؤية الأسلوب الشعري الواحد من زوايا مختلفة تطلّ على السلب والايجاب والحياد في وقت معاً، ولهذا لجأنا، عند الحاجة، الى بلاغيين آخرين ونقاد وفلاسفة لجلاء بعض الأمور التي تعرض لنا في سياق هذا البحث.

وعنينا بالبلاغة العربية كل ما يقع تحت هذا العنوان من علوم الفصاحة والبيان والبديع والمعاني وان بدا العلم الاخير أقل تلك العلوم حظاً من الشواهد الشعرية، فلم يحظ من بحثنا الا بلمحات قليلة.

حين وضع الآمدي (ت 370 هـ) قواعد عمود الشعر العربي على صورة شعر البحتري أشار إلى ان الذين يفضلون هذا الشاعر «هم الكتاب والأعراب والشعراء المطبوعون وأهل البلاغة»[1]، وحين أنشأ المرزوقي (ت 421 هـ) عموداً آخر للشعر على صورة شعر ابي تمام، قدم لذلك بقوله: «ومتى اعترف اللفظ والمعنى في ما تصوب به العقول فتعانقا وتلابسا متظاهرين في الاشتراك، وتوافقا، فهناك يلتقي ثريا البلاغة»[2].

فعمود الشعر في الحالتين يبدو موقفاً بلاغياً او نتيجة لموقف بلاغي، واذا كان الآمدي لم يفصّل القول في قواعده فإن القاضي علي الجرجاني (ت 392 هـ) قام بعده بهذا العمل وعيّن اموراً اكثرها بلاغي ينهض عليها عمود الشعر، ثم بنى المرزوقي على بناء القاضي الجرجاني، وأدخل، في ما ادخله، عنصر الاستعارة التي زعم علي الجرجاني ان العرب لا تحفل بها ولا بالبديع «اذا حصل لها عمود الشعر ونظام القريض»[3]. وها هنا يتجلى اختلاف الموقفين البلاغيين: فالآمدي والقاضي الجرجاني ينطلقان من البلاغة البدوية البسيطة البعيدة من التصنّع، والمرزوقي يطلب بلاغة اصحاب المعاني والصناعة.

وشيء آخر هو ان تعريف الآمدي للبلاغة ظاهر القرابة بعناصر عمود الشعر عنده، افضلاً عن قوله بأن «الشعر أجوده أبلغه»[4] وعمود الشعر عند القاضي الجرجاني والمرزوقي مقياس للمفاضلة بين الشعراء[5] أي لجودة الشعر، فعمود الشعر استنتاجاً، مقياس لبلاغته.

لا بدع، اذن، ان يحتل البحتري وأبو تمام طليعة اصحاب الشواهد الشعرية في البلاغة العربية فهما طليعة الشعراء الذين شيد على اسلوبهم عمود الشعر. وينافس المتنبي هذين الشاعرين في عدد الشواهد البلاغية، فهو الذي ملأ الدنيا وشغل الناس، وكان محط اعجاب أهل الأندلس والمغرب خاصة

(*) الجامعة اللبنانية ـ كلية الآداب ـ بيروت.

الفكر العربي, مج ٨, العدد ٤٦, ١٩٨٧ بيروت